

المنجز السوسيولساني المغاربي، كتاب ابن شنب حول الأمثال الشعبية
الجزائرية والمغربية، أنموذجا.

**The Maghreb Sociolian Achievement, Ibn Shanab's book on
Algerian and Moroccan proverbs, as a model.**

سمية هامل *

المجمع الجزائري للغة العربية

Soumia hamel

Algerian Academy of the Arabic Language

البريد الإلكتروني

Soumia.hamel@ensb.dz

تاريخ النشر: 2023/03/15

تاريخ القبول: 2023/01/23

تاريخ استلام المقال: 2023/01/04

ملخص

الأمثال الشعبية جزء من لغة الحديث اليومي، لا يمكن دراستها خارج علاقتها بالمجتمع واللغة، فمفردات المثل تنتمي إلى البيئة المحيطة. ويحمل المثل مضمونا قيميا وفكريا ويمكن أن يحمل مضمونا تاريخيا، وهو يعكس صورة البناء الاجتماعي والفكري والفني للجماعة اللغوية. وبعدّ المثل مجالا بحثيا يستقطب اختصاصات متنوعة، وهو يعدّ تراثا لغويا ثقافيا يُعتمد عليه في تدعيم الأقوال والأفكار، ومن أشدّ المجالات البحثية رعاية بالأمثال نجد المجالين الاجتماعي واللغوي. من المنجزات السابقة في دراسة الأمثال الجزائرية والمغربية كتاب ابن شنب، حيث قام صاحبه بجمع الأمثال الشعبية المشتركة بين البلدين، وتعكس هذه الأمثال صورة عن اللغة المتداولة، ونمط العيش آنذاك، وتُظهِر تفكير الفرد المغاربي خلال تلك الحقبة الزمنية. تهدف هذه المداخلة إلى التعريف بجهد ابن شنب في وضع كتابه، والمنهجية التي اتبعتها في تصنيفه، دون إغفال الإشارة إلى أهمية هذا النوع من الدراسات في الجانبين الاجتماعي واللغوي. الكلمات المفتاحية: الأمثال الشعبية؛ علم الاجتماع اللغوي؛ العامية الجزائرية؛ محمد بن أبي شنب.

Abstract

Proverbs are part of the language of everyday speech, they cannot be studied outside of

البريد الإلكتروني: Soumia.hamel@ensb.dz

* المؤلف المرسل: سمية هامل

their relationship to society and language, the vocabulary of the proverbs is the surrounding area. The proverb carries a value and intellectual content and achieves and achieves them in content, and it shows the image of the social, intellectual and intellectual construction of the linguistic community.

Proverbs is a field of research that attracts various specializations, and it is considered a linguistic and cultural heritage that is relied upon to support sayings and ideas.

Among the first achievements in the study of Algerian and Moroccan proverbs is Ibn Shanab's book, where its author collected common proverbs between the two countries, and these proverbs reflect an image of the language in circulation and the way of life at the time, and show the thinking of the Maghreb individual during that time period.

This intervention aims to introduce Ibn Shanab's effort in developing his book, and the methodology he followed in classifying it, without neglecting the reference to the importance of this type of studies in the social and linguistic aspects.

Keywords: popular proverbs; Linguistic Sociology; Algerian colloquial; Mohammed bin Abi Shanab.

1. مقدمة

يُقَرَّرُ فرديناند دي سوسير أهمية المجتمع في اللسانيات، فهو يُصَرِّحُ بأنَّ اللسان يمثل الجزء الاجتماعي من اللغة، وأنَّ اللسان مؤسسة اجتماعية، إلَّا أنَّه يقول: إنَّ موضوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو اللسان في ذاته ولذاته، وقد تبعه في هذا باحثون منهم بلومفيلد ويلمسلاف وتشومسكي؛ حيث إنهم يقصون كل ما هو ليس بنية مجردة. ونظرا إلى أنَّه لا وجود للألسنة دون النَّاس الذين يتكلمونها. لهذا جاء علم الاجتماع اللغوي ليخوض في قضايا لا يمكن الاستغناء عنها في الدراسات اللغوية، من مثل قضايا احتكاك اللغات وما تشمله من افتراض لغوي، وثنائية لغوية، وإنشاء الأطالس اللغوية التي توضِّح الاختلافات اللغوية باختلاف الجغرافية، إضافة إلى البحث في مجال الصراع اللغوي وتحديات العولمة، والسياسات اللغوية.

عندما نحاول البحث عن الجهود السوسiolسانية في وطننا فإنه يتبادر إلى أذهاننا مسعى الدكتور محمد بن أبي شنب من خلال أبحاثه المتعلقة بالعامية الجزائرية، أو مصنّفه الذي جمع من خلاله الأمثال المتداولة في الجزائر آنذاك، من خلال هذه الصفحات القليلة نحاول التّعرف على جهده في جمع وتصنيف الأمثال، مع التّنبؤ بأهميّة سعيه هذا في حقل علم الاجتماع اللغوي.

ويورد فيها الباحث تقديمًا موجزا للموضوع تمهيدا لطرح الإشكالية وتحديد أهداف البحث

ومنهجيته.

2. علم الاجتماع اللغوي، وأهميته:

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقيم دراسة نظام لساني ما، ما لم نَقِفْ على الممارسة الفعلية له، ولا يمكن أن تتم هذه الممارسة خارج إطار المجتمع، ويأتي علم الاجتماع اللغوي لمحاولة (الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة) (رمضان، 1997، ص.125). وبالتالي (لا يمكن تحديد اللسانيات إلا بوصفها دراسة الجماعة الاجتماعية من حيث وجهها اللغوي، إن علم الاجتماع اللغوي بدوره لا يمكن تحديده إلا بكونه لسانيات) (كالفي، 2006، ص.123)، وقد شهد التاسع عشر (كثيراً من المجهودات الخالقة المبدعة، التي نتجت عنها نتائج نهائية الصبغة مثل تقسيم اللغات، والقوانين الصوتية والصياغة القياسية، وأفكار أخرى لا تقل عن ذلك في أهميتها) (حسان، دت، ص.69)، وتتجلى أهمية البحث في علم الاجتماع اللغوي في تلك النقاط المشتركة التي يتطرق إليها كل من الباحثين: اللساني والاجتماعي. حيث (أفاد الباحثون في العلوم الاجتماعية من نتائج البحث اللغوي من عدة جوانب؛ منها أن اللغة أهم مظاهر السلوك الاجتماعي وأوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد. وأفاد اللغويون كذلك من الدراسات الاجتماعية، فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري. والتغير اللغوي لا يفسر تفسيراً كاملاً إلا في ضوء الظروف الحضارية والاجتماعية، وإلى جانب هذا تؤثر المواقف الاجتماعية من مستويات اللغة في مكانة هذه المستويات وتحدد مسار التغير فيها. هناك قضايا لغوية كثيرة لا يمكن اتضاح معالمها الكاملة إلا بالتعاون بين الدراسات اللغوية والاجتماعية والحضارية) (حجازي، دت، ص.51)، إن اللغة من الناحية الاجتماعية -ولا يمكن حصولها لولا الوجود الاجتماعي- نظام من الرموز المتعارف عليها بين جماعة من الأفراد.

ومن الأشكال التعبيرية التي أوجدها البشر الأمثال الشعبية يتناولونها لبث خلاصة الحكم والتجارب، في مواضيع عديدة، وتفطن العلماء اللغويون لأهمية المثل المزدوجة بين تصوير الأساليب اللغوية المتداولة (الإيقاع الصوتي، الصور البيانية)، ونمط تفكير الجماعة التي تتداوله، ومن هؤلاء العلماء: أبو هلال العسكري، في جمهرة الأمثال. ويمكن اعتماد الأمثال الشعبية مدونات لسانية لإجراء دراسات تطبيقية على اللغة في حالتها الحقيقية من حيث الممارسة الفعلية الواقعية، وبالتالي تحليل الظواهر الحاصلة في الاستعمال الطبيعي.

3. التعريف بمحمد بن أبي شنب ومجوده في جمع الأمثال الجزائرية:

1.3. من هو محمد بن أبي شنب:

وُلد محمد بن العربي بن محمد أبي شنب يوم الثلاثاء 20 رجب 1286هـ، الموافق 26 أكتوبر 1869م، بمنطقة "عين الذهب" التي تبعد بحوالي ثلاث كيلومترات عن وسط المدينة، من عائلة تجمع بين الأصلين التركي والجزائري، وهو النوع الذي يُعرف في التاريخ بـ "زيجة الكراغلة" وهي عقود الزواج

التي تجمع بين تركي وجزائرية. وهي إحدى العائلات التركية المقيمة في الجزائر التي نجت من الطرد إلى "أزمير" التركية بعد الاحتلال الفرنسي.

حرصت هذه الأسرة على تربية ابنها وتعليمه؛ وحفظ القرآن عن شيخه أحمد بارماق، ثم توجه إلى تعلّم الفرنسية بالمكتب الابتدائي، أين تحصل على شهادة مكنته من الالتحاق بالمدرسة الثانوية، وسهل له ذلك الخط الذي انتهجته الفلسفة الاستعمارية التي تبنت سياسة تعليم الأهالي بعد منعها بهدف تكوين نخبة منهم. فتوجه ابن أبي شنب إلى الجزائر العاصمة سنة 1886م، والتحق بمدرسة المعلمين (École normale) ببوزريعة وتخرج منها بعد سنتين وعمره يبلغ 19 سنة فقط، بعد ذلك، تم تعيينه معلما بالمكتب الرسمي في قرية "سيدي علي تامجارت" (وامري حاليا) بالمدية، فمكث فيه أربع سنوات، ثم انتقل إلى مكتب الشيخ إبراهيم فاتح الرسمي بالجزائر العاصمة ومنها إلى الجامعة الجزائرية، أين تقدم للامتحان وأحرز شهادة اللغة العربية، كما درس على الشيخ عبد الحليم بن سماية علوم البلاغة والمنطق والتوحيد، وناب عن الشيخ أبي القاسم ابن سديرة في دروسه العربية بالجامعة لمدة سنة كاملة.

وفي سنة 1896 م حصل على شهادة البكالوريا، ولكنه تخلف عن الامتحان النهائي بسبب إصابته بالجذري.

وفي عام 1898م عينته الأكاديمية أستاذا بالمدرسة الكتانية في قسنطينة خلفا للشيخ العلامة عبد القادر المجاوي، عندما انتقل هذا الأخير إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، فأقرأ بها الشيخ ابن شنب علوم النحو والصرف والفقه والأدب، ثم عُيِّنَ مُدَرِّسًا بالمدرسة الثعالبية كذلك خلفا للشيخ عبد الرزاق الأشرف.

وفي 15 نوفمبر 1903 م تزوج ابن شنب بابنة الشيخ قدور بن محمود بن مصطفى، الإمام الثاني بالجامع الكبير، فرزق منها بخمسة ذكور وأربع إناث.

وفي حوالي 1904م، أسند إليه دراسة صحيح البخاري رواية بجامع سفير بالعاصمة، وارتقى في عام 1908 م إلى رتبة محاضر بالجامعة.

في سنة 1920م انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضوا به، وفي نفس السنة تقدم لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر فأحرزها بدرجة (ممتاز)، حيث ألف كتابين أحدهما يدور على أبي دلالة شاعر العباسيين، والثاني بحث ذكر فيه الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في لغة أهالي الجزائر.

في سنة 1924م، عُيِّن الشيخ ابن شنب أستاذا رسميا بكلية الآداب الكبرى في العاصمة، كما انتخبه المجمع العلمي الاستعماري بباريس عضوا عاملا به، كما انتخبته هيئة إدارة مجلس الجمعية التاريخية الفرنسية كاتباً عاماً بها.

كان الدكتور ابن شنب يحسن لغات عديدة إلى جانب العربية والفرنسية، كالفارسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والتركية واللاتينية والعبرية، لذا يرجع إليه الفضل في تكوين نواة لقسم الأدب المقارن، حتى وإن لم يكن موجوداً آنذاك، لأن الجامعة الجزائرية كانت تخضع للنظام التعليمي الفرنسي، غير أنّ ابن شنب يعدّ أول باحث جزائري اهتم باللغات وبالترجمة، وبالتالي بالانفتاح على آداب الشعوب الأخرى، دراسة وتعليماً وترجمة. ولا يمكننا الحديث عن تدريس الأدب المقارن بدون الرجوع إلى اجتهاداته لأنه كان الوحيد القادر على الإنتاج في ميدان الأدب المقارن. ونظم الشعر ونشر الدراسات العديدة، ومنها ماهو في صميم الأدب المقارن، كالدراسة التي نشرها في «المجلة الإفريقية» سنة 1919 بعنوان «الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانتة.

أما منجزاته، فهي:

- تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب 1906 و1928.
- شرح لمثلثات قطر 1906.
- أبو دلامة وشعره وهو أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي حصل عليها سنة 1924.
- الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب 3 أجزاء 1907.
- الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر (لم يطبع).
- فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر 1909.
- معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى (فاس) من الكتب ونقدها 1922.
- خرائد العقود في فرائد القيود 1909.
- الكلمات التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية.
- رسالة في المنطق.
- مجموع أمثال العوام في أرض الجزائر والمغرب.
- رحلة الورتلاني.

أما تحقيقاته في مؤلفات غيره، فهي:

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني عام 1908.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد الغبريني 1910.

- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية 1920.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.
- تعليق على: وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود النبي.
- شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت 1926.
- طبقات علماء أفريقية لأبي ذر الخشني ترجم للفرنسية 1915.
- ترجم إلى الفرنسية رسالة للإمام الغزالي في رياضة الأولاد وتربيتهم نشرت بالمجلة الإفريقية "a" "revue africaine" سنة 1901.
- الجمل تأليف الزجاجي .
- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وهو من تأليف الشيخ محمّد العربي المشرقي الغريسي.

2.3 التعريف بمصنّف أمثال الجزائر والمغرب لمحمد بن أبي شنب:

لاحظ ابن شنب معظم الأبحاث التي أنجزت في الأدب الشّعبي الجزائري تغلب عليها النظرة الاستعمارية الاستعلائية المستمدّة من المركزية الأوروبية التي لا ترى في الأهالي الجزائريين إلا أولئك المتخلفين الهمج، ثمّ إنّ أغلب هذه الدراسات ارتبطت بنوايا استعمارية نفعية قصد الكشف عن سلوك الإنسان الجزائري وردود أفعاله حيث تركت السياسة الاستعمارية بصماتها بوضوح على اتجاهات البحث العلمي الذي تناول الثقافة الشعبية بالدراسة. ويمثّل هذا الكتاب أقدم مصنّف مغاربي جمع فيه صاحبه محمد بن أبي شنب الأمثال الشعبية الجزائرية، ومميزات الأمثال التي جمعها:

- يعدّ مؤلّفه (تتويجا لما سبقه من جمع وشرح وتعليق لهذا الفن التعبيري الشّعبي في الجزائر (ابن شنب، 2013، ص.10).
- تنوّع أصل كلمات الأمثال، بين العامية الجزائرية والأمازيغيّة، واللغات التركية والفارسية والإسبانية.
- تنوّع المواضيع التي لامستها الأمثال بين مجالات مختلفة من الحياة.
- تنوّع الأساليب التي ركّبت الأمثال بين الاستفهام والشرط والنفي والنداء.
- عدد كبير من هذه الأمثال ما يزال متداولاً على ألسنة العامّة من الجزائريين في مواقف عديدة من الحياة.

أما منهجية ابن شنب في جمع وتصنيف مؤلفه:

- احتوى مصنف ابن أبي شنب 3121 مادة مثلية، أضيفت إليها ما أحقه بها صاحبها من رباعيات وأقوال حكمية بلغت السبعين قولاً (ابن شنب، 2013، ص.11).
- أورد الأمثال مُرقّمة ومرتبّة ترتيباً أبجدياً، حسب الحرف الأول.
- قامَ بترجمة الأمثال إلى اللّغة الفرنسية، مع إرفاق الشروح والتعليقات، (وقد تناول التعليق السياقات التي رويت فيها بعض الأمثال كما سمعها ابن أبي شنب، والحالات المتعدّدة التي يمكن أن ينطبق عليها المثل، وهي مسألة تندرج في نطاق الجهد التأويلي المبذول من طرف الجامع والمدون، وهو جهد مسنود بمعرفة عميقة باللهجات التي تمّ التعبير من خلالها) (شنب، 2013، ص.11).
- أقامَ مقارنات بينها وبين أمثال في لهجات ولغات مغايرة، مع حرصه على الرجوع في ذلك إلى ما ورد في كتب التراث العربي من أمثال، ولجأ إلى الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي عند وجود علاقة ما بمعاني هذه الأمثال.
- أثنى مؤلفه برباعيات شعرية شائعة التداول آنذاك، وفي هذا قيمة ثقافية، وبالتالي يمكن أن نعدّ هذا المصنّف وثيقة مهمّة في تاريخ الجزائر الثقافي - اللغوي - الاجتماعي.
- وظّف مختصرات تُرشدُ القارئ إلى النقطة الجغرافية التي يتمّ تداول المثل في نطاقها، وهي كالآتي: (شنب، أمثال الجزائر والمغرب، 2013، ص.19).
 - مستعملٌ من طرف الأدباء (L)
 - جمع وسُمع بالمدينة (M)
 - جُمع وسُمع بالجزائر العاصمة (A)
 - مستعمل بقسنطينة وضواحيها (C)
 - مستعمل بوهران وضواحيها (O)
 - مستعمل بالهضاب العليا والجنوب الجزائري (S)
 - مستعمل في الوسط النَّسائي (F)
- استعان ابن شنب بقائمة متنوّعة من المراجع العربية والأجنبية، التراثية والمعاصرة لتأليف مصنّفه (شنب، أمثال الجزائر، 2013، ص.695).

4. خاتمة

إنّ توظيف المثل في الخطابات اليومية من قبل الفرد إشارة على ثقافته، ويمنحه تقديرا واحتراما في جماعته، وكثيرا ما اعتُمدت الأمثال وسيلة لفض النزاعات وتهدئة النفوس أو قضاء حاجة أو دحض فكرة، كما أنّ الأمثال الشَّعبية -على العموم- تهدف ضمناً إلى الحضّ على تعميم السلوك الصالح ذي النفع العام، وتُنقِرُ من السلوك السيء الضارّ، دون إغفال قدرة المثل على نقل الخبرات والتجارب والمعارف من جيل إلى آخر هذا فيما يخصّ تداول الأمثال اجتماعيا، أما من ناحية الدراسات الاجتماعية- اللسانية الرصينة فيمكن اتّخاذ الأمثال مُدونةً لسانية، تنطلقُ منها البحوث التّطبيقية، ومن النّقاط التي يمكن للسوسيولساني أن يفيد منها عند دراسته المصنّف ما يلي:

- المصنّف يعطي صورة عن اللغة المتداولة في مرحلة تأليفه، ومن ثمّ يُمكن الاعتماد عليه واعتباره عيّنة مرجعية في إجراء مقارنات مع العامية المتداولة في عصور لاحقة، وذلك لدراسة التطوّر اللغوي الحاصل على العامية الجزائرية.
- التّعرف على أشكالٍ من التنوّعات الصوتية والإفرادية بين مناطق مختلفة من الجزائر.
- تَسْمَحُ هذه العيّنة الجاهزة بإجراء مقارنة بين العاميات الجزائرية واللغة العربية في مستواها الفصيح، من نواحٍ مختلفة (الصوتية، والمعجمية، والتّركيبية).

. قائمة المراجع

- بن أبي شنب، محمد(2013)، أمثال الجزائر والمغرب، دار فليتنس للنشر، المدية.
- حجازي، محمود فهمي(د.ت)، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- حسّان، تَمّام(د.ت)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- رمضان، عبد التواب(1997)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- كالفي، لويس جان، ترجمة يحياتن محمد(2006)، علم الاجتماع اللغوي، دار القصبه للنشر، الجزائر.